حديقة المقتطف

اوجين اونيل

(حائز جائزة نوبل الادبية ١٩٣٦)

منعطفات الجدول

إلهي — تحت ضوء القمر

نقلها جورج نقولاوس

أوجين أونيل

Eugene Gladstone O'Neill

أوجين أونيل الكاتب الاميركي الذي فاز بجائزة نوبل في الأدب لعام ١٩٣٦ من نوابغ رجال الفن والادب المسرحي في أميركا . وهو طويل القامة قوي البنية ذو وجه كالح يدل على الشراسة والعناد . اشتهر بمؤلفاته الدالة على قوة فنية رائعة وذوق أدبي ممتاز ، ولكنه لا يزال تحت تأثير فهم غير تام لبعض نواحي الحياة وتناوله في تآليفه المسرحية نبع لها من وقت لآخر ، ولعل لذلك أسباباً تعود الى المغامرات الكثيرة والحياة الجامحة التي عاشها متنقلاً بين بلد وآخر . ولما كان أونيل يفضل حياة الخشونة والتواضع منزوياً متكتماً في شؤونه الخاصة وكانت حياته الأولى حافلة بالمغامرات والأهواء المضطربة فقد كانت شخصيته الغريبة الاطوار باعثاً على تواتر قصص وشوائع مختلفة جعلت اسمه شبه اسطورة في الادب الأميركي

***

كانت الدراما والآداب المسرحية في أميركا — قبل الثورة والاستقلال — ذات ميول واتجاهات استعمارية وصبغة تورية متأثرة بالثقافة الانكليزية البحتة تتخللها مؤثرات تنشف عن الروح التوتونية ، وكانت المؤلفات للمسرحية والقصص التمثيلية تقليدية أكثر منها أصيلة

على أن أول من بدأ بتأليف القصص المسرحية في أميركا William Dunlap وهو المعدود أبا الدراما في الولايات المتحدة و Bayall Taylor مؤلف القصة الهزلية The Contrast التي مثلت عام ١٧٨٧ وهي أول قصة مسرحية أظهرت للعالم الشخصية الاميركية باسم Yankee . أما (دنلاب) فقد ألف واقتبس أكثر من ستين قصة مسرحية أهمها Andre وقد ظهرت عام ١٧٩٨ . وهذان المؤلفان (دنلاب وتايلر) هما اللذان سارا بالقصة المسرحية في أميركا سيراً حثيثاً في سبيل التقدم والارتقاء ، حتى بدأت تتحرر تدريجياً من المؤثرات الاوربية . وما كاد يبزغ القرن

التاسع عشر حتى كانت الدراما قد انفلتت من معظم القيود الاجنبية واصبحت تعتمد على نفسها وجاء William Gillette بمسرحيته (Held by the Enemy) و (Secret Service) فوضع أسس القصة المسرحية في الولايات المتحدة ، وجاء بعده غيره من الكتاب المسرحيين فألفوا القصص التمثيلية خالية من المؤثرات الاجنبية وظهرت القصة التمثيلية مستقلة الاستقلال كلهُ عن المسرحيات الاوروبية مبنىً ومعنىً . وكان هؤلاء المؤلفون الافذاذ الجذوع التي قامت عليها المسرحيات في اميركا ثم أتيحت فرصتها فاورقت الدراما في العالم الجديد ثم أثمرت بتأليف اونيل — اعظم كاتب مسرحي في اميركا — في الوقت الحاضر

وكما ان الادب الاميركي امتاز في عصرنا الحاضر بتأثيره في المذاهب الطبيعية والنفسية والفلسفية وبتحرره من القيود التي كانت تعرقل سيره فكذلك تأثر الادب المسرحي والدراما بمظاهر الحياة الاميركية الحرة وبالبواعث والمؤثرات نفسها بعد ان امتزجت بالميول والاهواء الخيالية فأبعدتها عن الحقيقة ولكنها القت عليها نسمة من الروعة والبهاء كما يتجلى لنا ذلك في مؤلفات اونيل ذات القوة الجذابة الرائعة

***

ولد اوجين اونيل في مدينة نيويورك في ١٦ اكتوبر ١٨٨٨ من اصل ارلندي وكان ابوه جيمس اونيل ممثلاً شهيراً اشترك في تمثيل دور في رواية « مونت كريستو » فربح في فصل واحد خمسين الف دولار . وقد درس اونيل في عدة مدارس داخلية معظمها كاثوليكي ثم دخل مؤسسة Betts وكان يتنقل من مدرسة الى اخرى الى ان دخل جامعة برنستون وظل فيها سنة واحدة ولكنهُ لم ينجح في الامتحان فغادر المدرسة لخوض معارك الحياة العاصفة . وقد تزوج في سنة ١٩٠٩ ولكنهُ عدّ زواجهُ هذا « خطأً فادحاً » . ثم اشتغل في نيويورك وعمل اعمالاً مختلفة فقضى سنتين بحاراً وسافر الى اميركا الوسطى للبحث عن الذهب ولكنهُ عاد بعد ستة اشهر وقد أصيب بالملاريا . ثم عاون والده في الشركة التي يعمل بها ولم يطل به الامر اكثر من ثلاثة اشهر حتى انسحب من العمل . وكان يطالع في اثناء ذلك مؤلفات جوزيف كونراد ورديارد كبلنغ وجاك لوندن . وقد ظهر اثر هؤلاء الكتاب في تآليفه الاولى . ثم عزم اونيل على ركوب البحر ومجابهة المخاطر والاهوال فسافر

في مركب نرويجي رحل به الى (بونس ايرس) بعد ان قضى في البحر ٦٥ يوماً. وقد احترف حرفاً شتى كانت لهُ خير معين في تأليف مسرحياته فيما بعد وساعدتهُ على فهم نواحي الحياة المختلفة وزوَّدتهُ عادة لا تنضب لقصصه وتآليفه. ثم عاد الى نيويورك وقد تطورت شخصيتهُ وطباعهُ فاذا به تأثر على المجتمع بحاربهُ بما اوتي من قوة وعزم. ولما عاد من رحلته الاخيرة الى سوثبتون (في انكلترا) كان قد ربح من المقامرة ارباحاً طائلة ولكنه قطن الى امره وفكر في سوء العاقبة فركب القطار الى (نيو اورليز) وهنا وجد نفسه فقيراً معدماً لا يملك شيئاً، بيد انهُ رأى اباه يمثل دوراً في رواية (مونت كريستو) فطلب منهُ اجرة قطار ليعود الى نيويورك ولكن أباهُ اراده على تمثيل دور في الرواية ذاتها فقام بما عهد اليه خير قيام، وكان هذا بدء دخوله المسرح وباكورة اعماله الفنية التي خلدت اسمهُ كاعظم كاتب مسرحي معاصر في اميركا. وظل يمثل خلال هذه المدة أدواراً مختلفة مجياً انتقادات أبيه بقوله «انهُ من العجيب أن يتمكن من القيام بتمثيل دور ما في رواية مشهورة هي «مونت كريستو». ثم اشتغل بعد ذلك محرراً صحفياً مدة ستة اشهر وقد أعجب به رئيسه «لتواضعه وأدبه ولطفه وعينيه الجذابتين وأسلوبه الادبي! ...» وكان لرئيسه هذا فضل عظيم عليه في تشجيعه على الكتابة والتأليف

***

ثم بدأ اونيل بالكتابة الا بعد ان ساءت صحته واقعده المرض فظل مدة في المصح يشكو داء السل الوبيل وذلك سنة ١٩١٢ هناك تمثل اونيل ما بلاه في الحياة من ضروب المعاناة والتجريب. ويحدثنا انهُ في اثناء اقامته في المصح المذكور عرف هناك لاول مرة قيمة الحياة ووجد الفرصة سانحة امامه لوضع اسس ثابتة لحياته المستقبلة ولاسيما ان حياته كانت زاخرة بالتجارب والاعمال وتتراكم في مخيلته بعضها فوق بعض دون اشعاع ولا انبعاث. وهنا فكر بماضيه وحاضره وشعر بدافع قوي يحثه الى كتابة القصص المسرحية وهو ذو الخبرة بالمسرح وحياة التمثيل والفن

دخل المصح وهو شاب عنيد شرس الاخلاق غريب الاطوار مقلق الافكار لا غاية لهُ في الحياة الا كما تعيش الملايين الكثيرة من الناس حياة كلها تعب وشقاء...

وآخرها عدم وفاء . ولكنهُ خرج من المصح وهو شخص آخر — رجل ماضيه المزعج تهُ هدف في الحياة يسعى اليهِ . ومنذ ذلك الحين وهو يحيا حياة ملؤها النظام والعمل الجدي النافع . فأكبَّ على تأليف القصص المسرحية وأخرج خلال سنة واربعة اشهر احدى عشرة قطعة تمثيلية ذات فصل واحد وقطعتين طويلتين . وهو يبذل مجهد متواصل في تأليف القصص التمثيلية والروايات المسرحية . وكانت مسرحيته الاولى (١٩١٤) ذات الفصل الواحد ، البراس الذي أضاء سبيله في عالم الادب والفن

***

كانت الحرب الكبرى الضربة القاضية على المسرح والقصص التمثيلية . فلما استعرت نارها في شهر اغسطس ١٩١٤ انزل الستار على المسرح وساد ظلام الوحشية على معالم الثقافة والفن . والحضارة لا تورق الا في ظلال السلم والطمأنينة ولا تزدهر الا حيث تمرح العقول والافكار في رياض الحرية وبين خمائل العلم والفن

ولكن الدراما نشطت في نيويورك بعد ذلك السبات العميق واخذت تستعيد ما فقدت من قوة وبأس . ويعود سبب ذلك الى اهتمام سكان تلك المدينة العظيمة بالمسرحيات والتمثيل ، بل تعد مدينة نيويورك الآن في الدرجة الاولى بين المدن التي يرتادها هواة الملاهي والمسارح لمشاهدة أروع القصص التمثيلية والقطع الفنية الراقية

وقد ظهر عقب انتهاء الحرب في المانيا مذهب جديد في الفن والتأليف المسرحية . نشأ هذا المذهب الفني من الحور واليأس اللذين استوليا على الشعب الالماني بعد اضمحلال الامبراطورية الالمانية وتهدم الآمال الجرمانية في السيطرة والتوسع ، فكاد يُقضى آخذ على آمال الشعب وأمانيه وشعر المفكرون وارباب الفن بهذه الكارثة الطارئة ، وهم يرون اكثر المؤلفات المسرحية تطغى عليها روح التشاؤم منبثقة مما يختلج في نفوس المؤلفين والكتَّاب من شعور واحساسات دفينة . تُظهرُ مايكنهُ المؤلف وابطال قصصه من آلام نفسية مبرحة وتأثرات عميقة متأججة — فنشأ من ذلك المذهب التيري Expressionism يصف نفسية الشعب المثالة المرهقة بنار الذل والانكسار !

وكان لمسرحيات الكاتب القصصي الالماني Frank Wedekind (١٨٦٤ —

١٩١٨) أثر عظيم في تطور المذهب الواقعي في الادب الألماني ، وقد مهدت تآليفه السبل وهيأت الافكار للدرامات الحديثة وكانت هي طليعة «المذهب التعبيري» الذي كان اهم الداعين لهُ والقائمين بهِ Georg Kaiser (المولود في سنة ١٨٧٨) ، و Ernest Toller (المولود في سنة ١٨٩٤) ، على ان هذا المذهب الفني الذي تأثر بهِ «اونيل» غير ثابت الاوضاع ، فهو متقلقل في سيره ، وقد أصبح الآن ضئيل النفوذ خفيف الأثر ، ولا سيما ان كثيراً من مؤلفي المسرحيات (في المانيا) يفضلون العودة الى المذهب الواقعي . يقول المؤلف والنقادة المسرحي الانكليزي «سنت جون ارفن» : « ان الملهى (تياتر) سيبقى في حالة ضعف وانحطاط الى ان تستعيد الانسانية نشاطها وقوتها ، لان الدراما اكثر الفنون تعلقاً وصلة بالمجتمع وسعادته ».

***

لنعد الآن الى اونيل بعد هذا الاستطراد الوجيز عن المذهب التعبيري . فقد قضى سنة في جامعة (هارفرد) ١٩١٤ — ١٩١٥ يدرس الفن والتمثيل . ثم امضى صيف عام ١٩١٦ في مدينة (برنستون) وكان هنا على اتصال وثيق بالممثلين الشباب الذين قام اكثرهم فيما بعد بتمثيل قصصه القصيرة . وكان يطالع كثيراً من المؤلفات المسرحية ولا سيما كتب (ابسن) و (ستريندبرغ) و (وديكند) و (بيشه) . وكان لهؤلاء اثر ظاهر في مؤلفاته الاخيرة . وفي خلال ذلك ذاع صيته وانتشر اسمه على افواه الناس وفي الصحف والمجلات ، فاذا به اشهر مؤلف مسرحي في اميركا ، وفاز ثلاث مرات بجائزة (Pulitzer) . وصدر لهُ في عام ١٩١٨ (In the Zone).

ثم تزوج للمرة الثانية (١٩١٩) فكان سعيداً بزواجه هذا اكثر منهُ بزواجه الاول ، حتى اعتبره مواطنوه راجعاً الى حظيرة الانسانية ، ووصفوه بانهُ «مواطن انساني تقريباً»!

وفي سنة ١٩١٩ اخرج مؤلفه The Moon of the Caribbees وست مسرحيات عن البحر و ١٩٢٠ «الذهب» و«ما وراء الافق» Beyond the Horizon ومنذ صدر كتابه هذا (ما وراء الافق) وهو يتمتع بلقب اعظم مؤلفي الدراما في اميركا ، بيد انهُ لم يفز بالشهرة العالمية الا بقصته « الامبراطور جونز » ١٩٢١ The Emperor Jones ثم بقصته Anna Christie سنة ١٩٢٢

ولا شك ان سبب نجاحه الفني هو ثباته واخلاصه للغاية التي يعمل من اجلها ورغبته الصادقة في وصف الحياة وصفاً مطابقاً للواقع ، ولكن مما يؤخذ عليه تسرعه في الكتابة وقلة عنايته بموضوع مؤلفاته . وقد كان لحياته الأولى درس مفيد عليه ان ينظر الى طبائع الانسانية الخفية ونفسيتها المتسترة والعوامل التي تطرأ على الحياة فتغير مجراها . وهو يصف الحياة كما تتراءى له معتمداً على ما يسيرها من العوامل والقوى النفسية الكامنة في اعماق الانسان . ثم ظهرت له قصص اخرى ذات صبغة صرفية رمزية، منها : The Hairy Ape اي « الفرد الاشعر » ١٩٢٢ ويدّعي اصحاب المذهب التعبيري ان هذه القصة تمثل مذهبهم الفني وتعبر عن آرائهم ، ولكن ادعاءهم هذا لا يرتكز على اساس ثابت

وفي سنة ١٩٢٤ صدرت له مجموعة في جزئين تتضمن Desire Under the Elms و Welded, All God's Chillun Wings وفي سنة ١٩٢٥ (ينبوع الحياة) The Fountain وفي سنة ١٩٢٦ The Great God Brown وهذه اكثر مسرحياته تأثراً بالنزعة الصوفية . وله غير ذلك Lazarus Laughed, Marco's millions ١٩٢٧ و Strange Interlude ١٩٢٨ ، وربما كانت هذه القصة اشهر مسرحياته . وفي سنة ١٩٣١ ظهرت له القصة الثلاثة (trilogy) Mourning becomes Electra

ان الابداع الفني والصور الغريبة التي اكثر منها اونيل في تأليفه قد وضعت حداً للجاذبية الفنية في مسرحياته التي كان لها الاثر البين في تطور الدراما ولا سيما في اميركا . كما ان بعض مسرحياته مثل « الظأ » و « القمر في بحر الكاريب » هي صور حقيقية لرحلاته البحرية وحياته الحافلة بالمغامرات

ويعمل « اونيل » الآن ، بعد ان فاز بجائزة نوبل ، على وضع قصة مسرحية عن حياة (نوبل) صاحب الجوائز العالمية المشهورة ، وستعرض فصولها على لوحة السينما ، وربما اختص اونيل نفسه بتمثيل دور نوبل

وما هذه القصص التحليلية والقطع الفنية الرائعة ، إلاّ قلائد ثمينة في جيد الادب الاميركي وصفحات حية خالدة من حياة اونيل ذات الصور البراقة المتنوعة والمغامرات الجريئة التي تجعله في مصاف اعلام الادب المسرحي في العصور الادبية الزاهرة

حلب فؤاد عيتاني

[المقتطف] تفضل كاتب هذا المقال فوعد بتلخيص احدى مسرحيات أونيل لنشرها